

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف

الجنرال المتقاعد جاك كين

نائب قائد أركان الجيش الأمريكي (1999-2003). عمل مع الخبير السياسي فريدريك كاغان على وضع الخطوط الرئيسية لخطة الاندفاع التي أدت إلى دحر الإرهاب في العراق.



مركز أميركان انتربرايز (المشروع الأمريكي)

6 أغسطس 2008



Iraq: Why We Are Winning

by Jack Keane

American Enterprise Institute

ترجمة: علي الحارس

في يونيو الماضي. تحدث الجنرال جاك كين في جلسة انعقدت في مركز أميركان انتربرايز وقال بوضوح أننا نحقق النصر في العراق. وأن التقدم الحاصل غير قابل للانعكاس. وتكلم بالتفصيل عن أربعة عوامل جعلته يصوغ دعواه. وهي: هزيمة القاعدة. وقبول التمرد السني بالواقع. وتهميش المتطرفين الشيعة. وتحسن أداء قوات الأمن العراقية. وهنالك أسباب أخرى لرؤيته المتفائلة منها تحسن الوضع السياسي والاقتصادي في العراق. وفي ما يلي فقرات من ذلك الحديث. (AEI)

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف



الجنرال جاك كين

كنت في زيارة إلى العراق في مارس الماضي، وعام 2007 قمت بعدة زيارات إلى هناك. وعندما أذهب إلى هناك في هذه الأيام، أقضي وقتاً أطول مع العراقيين مقارنة برفقتي للأمريكيين، وذلك لأن القضية تتعلق بهم في النهاية: فأزور المدارس، والمستشفيات، والأسواق، والمنازل، وزعماء العشائر، وقادة التمرد الذين أصبحوا يعملون معنا. والمسؤولين الحكوميين، وجنرالاتنا وقادة جيشنا، وبالطبع، جنودنا العظماء.

كل شيء في العراق شديد الصعوبة. وطالما واجهنا التحديات هناك، والتي سيستمر بعضها. لكن يمكننا أن نقول وعلى درجة من الثقة أننا نحقق الانتصار هناك وأن هنالك فرصة كبيرة لإنجاز الأهداف التي خططنا لتنفيذها. وهذه الأهداف هي قيام عراق مستقر تديره حكومة منتخبة من الشعب، قادرة على توفير الأمن دون أن تشكل تهديداً لجيرانها. وتتمتع بعلاقة مع الولايات المتحدة على المدى البعيد. وبتقديري: إننا ماضون لتحقيق ذلك. إن ما ذكرته يعد نقلة نوعية إذا ما تذكرنا ما واجهناه من كوارث وأزمات عام 2006 عندما كان المئات من العراقيين يقتلون أسبوعياً في شوارع بغداد، وتعطلت كافة الخدمات الأساسية، وأغلقت المدارس. عندها كانت الحكومة غير فاعلة على مستوى الواقع. إذ كانت قد استلمت للتو زمام الحكم في ربيع 2006 بعد انتخابات 2005. وإن الحقيقة المتمثلة في أن تلك الأحداث ما لبثت أن تغيرت في مدة قصيرة كتلك، إنما تمثل إنجازاً ملفتاً ستدارسه الأجيال في ما بعد.

في لقاء جمعني مع وزير الدفاع البريطاني مؤخراً، قال لي بأن محاربة التمرد كانت دائماً محور عمل الجيش البريطاني لحماية الامبراطورية البريطانية على امتداد قرنين من الزمان.

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف

وأنتهم وصلوا إلى منزلة متقدمة من المهارة في أداء ذلك، لكن الأمريكيين، والكلام له، فعلوا شيئاً في العراق تفوق على كافة المعايير والأنظمة التي أنجزها أو وضعها البريطانيون. وستمضي فترة من الزمن قبل أن يفهم ما فعله الأمريكيون، إذ يمكن الإحساس بما فعلوه، لكنه يحتاج إلى دراسة أكثر.

إن الزخم الذي تتمتع به عملياتنا في العراق لا يمكن أن يعود إلى الوراثة. وهنا يجب أن نسأل أنفسنا: كيف لنا أن ندعي ذلك؟ من وجهة نظر أمنية توجد أربعة أمور تدعم هذا الادعاء. وكل المعلومات التي تقرؤونها في الصحف تشير إلى أن الأوضاع في العراق تأخذ منحى إيجابياً، حيث انخفضت أرقام القتلى من المدنيين والجنود الأمريكيين وضحايا العنف العرقي الطائفي. وهذه المعلومات تروي لوحدها ما يحدث، لكنها لا تقترب أبداً من إعطاء الرواية الحقيقية لما حدث.

أربعة أسباب للتهدة التي يعيشها العراق

1. هزيمة القاعدة

أولاً: لقد تعرضت عمليات القاعدة في العراق للهزيمة. وقد قلت ذلك عام 2007، وكنت أعني ما أقول، لكن لم يكن أحد يريد أن يقول ذلك لأن القاعدة منظمة إرهابية قادرة دائماً على تنفيذ عمليات فظيعة. لكن القاعدة لم تعد قادرة على تنفيذ عمليات مؤثرة ذات نتائج دائمة، إذ لم يعد ذلك ممكناً لأنهم لا يملكون البنية التحتية، ولأنهم محصورون في الموصل وما حولها، وبنهاية الصيف أو الخريف المقبلين سيتم القضاء على ما تبقى منهم، مع أن ما تبقى منهم لم يعد ذا أهمية على مستوى تنفيذ العمليات.

إنكم لن تحصلوا على مثل هذه التصريحات من القيادة الأمريكية الوسطى (سنتكوم)، ولكن هذه هي الحقيقة، وهي معروفة جيداً في العالم العربي الإسلامي. لقد تحدثت القاعدة صراحة عن هزيمتها ومعاناتها في العراق، وهي تواجه صعوبات في استقدام مقاتلين أجانب إلى العراق لأن وضعها ميؤوس منه هناك. في الماضي كان المقاتلون الأجانب

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف

يأتون عبر سوريا ويتم استقبالهم عند الحدود ونقلهم بأمان إلى حيث تتم حمايتهم من قبل قائد خلية عملياتية إلى أن يصبحوا جاهزين لتنفيذ مهامهم: سواء أكانت عملية انتحارية أم قتالية، ولم تكن تعترضهم أية عوائق في أغلب الأحيان. ولكنهم الآن يواجهون الخطر لحظة اجتيازهم للحدود، وهم يعلمون أنهم ربما يعجزون عن تنفيذ مهامهم. وربما لن يتمكنوا حتى من الوصول إلى موقع تنفيذ تلك المهام، وهذا بذاته يشكل عاملا منفرا لهم.

إن من المهم أن نفهم كيف انهزمت القاعدة والأسباب التي أدت إلى ذلك: فالسنة لم يعودوا يؤازرون القاعدة، وهذا يعد حدثا كبيرا في العالم العربي الإسلامي. ومع ذلك لم يحظ بالترجمة الإعلامية الكافية والتقدير اللائق. لقد ابتعد ملايين السنة في العراق عن الإسلام الأصولي، وهو أمر لم يحدث في أي مكان من العالم العربي الإسلامي، ويعد بشارة بالعديد من الأمور الجيدة التي ستحصل. إنه هزيمة كبرى للقاعدة في العالم العربي حصلت عبر عمليات شديدة: خاصة وعادية، وما تمكن من فعله الجنرالان ديفيد بيترايوس ورايموند أوديرنو إنما كان الجزء الثاني من قصة ما حدث، وفي النهاية ستنشر التفاصيل.

2. التسوية مع التمرد السني

يتمثل السبب المهم الثاني في تحقيق تسوية مع التمرد السني الرئيسي، وهذا أيضا من الأمور التي لم تعط حقه من التقارير في أمريكا. ولا شك في أنه لا يزال هنالك العديد من الراضين لذلك. لكن التوجه الرئيسي للمتطرفين يبحث عن تحقيق أهدافه من خلال المشاركة في العملية السياسية وترك طريق العنف. وبهذه الطريق يمكن التخلص من التمرد، فالمتطرفون لا يستسلمون في العادة، ولا يدخلون في اتفاقيات، ولا يرفعون الأعلام البيضاء، بل إنهم يتوقفون عن القتال ويبدؤون البحث عن صفقة سياسية.

لقد كان لي حديث مع بعض الأشخاص الذين كان لهم دخل في هذا الأمر. وسألتهم عن أسباب حصول ذلك، وكانوا يعتقدون بأن ما حصل يعود إلى عدد من الأسباب، وأهمها أن

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف

السنة علموا أنهم لن ينتصروا في الصراع. كما سئموا من العنف. وقد لخص القضية أحد القادة السابقين للمتمردين بقوله: «عندما احتل الأمريكيون بغداد. علم هؤلاء [المتمردين] أن مشاكل عظيمة بانتظارهم». ولاحظوا أن أمرا مختلفا قد حدث نتيجة لقرار الرئيس بوش بتنفيذ خطة الاندفاع. ولم أكن قبل هذه الملاحظة أنظر إلى ما فعلناه في بغداد بوصفه احتلالا. ولكن ذلك ما حصل فعلا إذا ما أخذنا وجهة نظره بالحسبان. أضف إلى ذلك المشاكل التي كانوا يواجهونها مع سكان مناطقهم الذين سئموا العنف. والعدد الكبير لأعدائهم الذين يقاتلونهم: الميليشيات الشيعية. القوات الأمريكية. القوات العراقية. فعلموا أن لا مجال لتحقيق أهدافهم. وهذا دفعهم إلى اتخاذ قرار استراتيجي لاستثمار قوة أمريكا ما دامت ذات تأثير هائل على حكومة المالكي والسعي لنيل أفضل صفقة سياسية يمكن الحصول عليها. لقد كان ذلك حدثا كبيرا. لأنه كان استسلاما في الحقيقة. وهو مصطلح لا نتلفظ به لأننا لا نرغب بإذلالهم.

إن ما نتحدث عنه وسائل الإعلام حاليا تحت اسم (أبناء العراق). إنما هم تسعون ألفا من الشباب الذين تتراوح أعمارهم ما بين (18-30) سنة. وستون بالمئة منهم كانوا متمردين يقاتلوننا في السابق. وهم يسمون أنفسهم بـ«الصحوة». وهذا أمر مهم ينبغي عدم التقليل من شأنه لأنه يمثل قرارا استراتيجيا جاء عبر قرار سياسي ضروري بالتخلي عن استخدام العنف المسلح لتحقيق الأهداف المنشودة.

إن الحقيقة الواقعة المتمثلة في أن تسعين ألفا من العناصر التي كانت تقاتلنا في السابق أصبحت تساعدنا حاليا إنما هي حقيقة شديدة الأهمية. لكن البعض يرى خطورة في ما حدث لأن هذه العناصر تشكل ميليشيا متربصة قادرة على قلب الأوضاع في البلاد. لكنني لا أرى ذلك لأسباب عدة: أولها أننا قمنا بإعداد ملفات لكل هؤلاء التسعين ألفا وفيها معلومات كثيرة عنهم: بصمات أصابعهم وعيونهم. وأسماء أقاربهم وأصدقائهم وجيرانهم. ومعلومات عن خلفياتهم. وهم يعلمون بأننا نمتلك هذه المعلومات عنهم. مع العلم بأنه لا يوجد فيهم من أحد من قيادات التمرد. وإنما هم مجرد شباب عملوا بما

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف

يشبه سلاح المشاة في التمرد. ومن المنتظر أن يقوم المالكي بتنسيب 20% منهم، وهي نسبة تعد تمثيلا عادلا للسنة في العراق، في قوات الأمن العراقية. وربما يسأل سائل ماذا سيحصل لنسبة 80% المتبقية؟ هل سيقومون بإسقاط النظام؟ والجواب على ذلك هو النفي. فقيادة المتمردين يعلمون بأن البطالة متفشية في العراق. وأن الكثير من هؤلاء لا يمكن تنسيبهم إلى قوات الأمن العراقية لأسباب تتعلق بخلفية إجرامية أو انعدام في الكفاءة. وأن الحكومة لا ترغب بتنسيبهم جميعا إلى قواتها. وبالرغم من وجود إجماع على قبول هذا الواقع في العراق، لا تزال وسائل الإعلام تقوم بتهويل الأمر. وأنا لا أرى ما يستدعي هذا التهويل. وثمة حقيقة أخرى ينبغي الإشارة إليها. وهي أنهم سوف يستلمون رواتبهم من المالكي قريبا، بينما نقوم نحن الأمريكيين بدفعها حاليا.¹

3. تهميش التطرف الشيعي

مثل التطرف الشيعي محور تركيزنا عام 2008، ومع أننا نعلم الأعمال التي قام بها، فإنه مؤخرا تم إضعافه ونزع فعاليته نوعا ما. حيث عُزل مقتدى الصدر على الصعيد السياسي، وهذا بذاته يعد إنجازا كبيرا، وتناقص النفوذ الإيراني في العراق بشكل أسرع من المتوقع. وعندما غادرت العراق، اجتمع الجنرال بيترايوس مع مجموعة من القادة الأمريكيين والعراقيين ليوضح لهم التهديد الإيراني، وهو التهديد الاستراتيجي الوحيد المتبقي في العراق. وكشف الطبيعة الكاملة لهذا التهديد على المستوى السياسي والاقتصادي والدبلوماسي والعسكري. فما كان من المالكي إلا أن أسرع بالتوجه إلى جنوب العراق خلال 48 ساعة متسلحا بثلاث فرق ذات أسلحة عراقية، وكان متهورا جدا في ذلك، ولم يتمكن بيترايوس من إيقافه، لكن تبين فيما بعد أن ما قام به كان أمرا جيدا.

كان الجنرال بيترايوس يرغب بأن يخطط للأمر جيدا: كالبداية بتهيئة الظروف، وإرسال قوات سرية إلى هناك لجمع المعلومات، ومن ثم الشروع برسم خطة للتدخل. لكن المالكي قدم لنا مفاجأة على المستوى التكتيكي. وكانت المحصلة نصرا مؤزرا له، ونتيجة لذلك

(1) بدأت الحكومة العراقية بدفع رواتب الصحوات (أبناء العراق) في 10 نوفمبر 2008.

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف



نال المالكي دعما هائلا من معتدلي الشيعة والسنة الذين لم يتوقعوا منه أن يتعامل مع مشكلة التطرف الشيعي: فلأن المالكي شيعي اعتقد السنة أنه لن يتصرف إزاء النفوذ الإيراني في الجنوب. وأدت حقيقة كونه قام بهذا التصرف إلى منحه دعما

سياسيا فريدا لم يكن يحظى به في السابق. وعلى الرغم من أن القوات العراقية تخبطت في بداية العملية، فإنها قدمت أداء جيدا جدا على امتداد مراحل العملية. لقد أدى انسحاب القوات البريطانية من مواقعها السابقة إلى إحداث فراغ. فشاعت أعمال العنف والإجرام والعصابات. وكان هنالك فصيلان دربهما حزب الله يعملان بحرية في البصرة. وفي حديث لي مع قائد شرطة البصرة في مارس الماضي قال لي بأن ما نسبته (60-70%) من قواته متورط بعلاقات مع الميليشيات. وطلب مني أن لا نعتمد عليهم إن قررنا التوجه جنوبا. وأن نعمل دون عون منهم لأنهم، حسب تعبيره، لن يكونوا قادرين على تقديم أي عمل مؤثر.

4. تحسن أداء قوات الأمن العراقية

كان الأمر الرابع الذي أدى إلى التحسن الدراماتيكي في الوضع الأمني هو التحسن الحاصل على مستوى قوات الأمن العراقية نفسها. ولم يكن هذا التحسن جذريا، وإنما كان تحسنا متواصلا بثبات منذ تسلم الجنرال بيترايوس زمام القيادة. حيث أعاد ترتيب برنامج كانت له أسسه من قبل. إذ أن العملية الاجتماعية التي تحول المدني إلى عسكري ليست شديدة الصعوبة. فالتحدي الحقيقي يكمن في تدريب القادة والكادر العسكري على أداء مهامهم بفعالية. وهذا كله احتاج إلى وقت. وعندما كنا نواجه فشل استراتيجية ما كنا نقوم بمضاعفة المتطلبات اللازمة لتنفيذها. ومجرد قدرتنا على أداء ذلك بسرعة وكفاءة في الوقت نفسه كان إنجازا عظيما. ولا تزال هذه العملية مستمرة حيث خلف الجنرال

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف



الجنرال بيترايوس

بيترايوس اثنان من الجنرالات في هذه المهمة وهما مارتن ديمسي وجيمس دوبيك اللذان قاما بعمل جبار في مساعدة العراقيين. ومع هذا يجب الإشارة إلى ما قدمه العراقيون أنفسهم من جهود في هذا المجال. حيث كان أداء القوات العراقية يتسم بالتحسن المستمر. وفي آخر زيارة لي إلى العراق. كان كافة قادة العمليات يشيدون بالكثير من دلائل كفاءة أداء القوات العراقية. إن ذلك يمنحنا ثقة هائلة لأنه هذه القوات هي محور استراتيجية خروجنا من العراق. وهي عامل أساسي في تحسن الأوضاع.

الواقع السياسي

إن الواقع السياسي الذي يتيح لي التصريح بما ادعيتة حول تحقيق الانتصار وإنجاز الأهداف إنما ينبثق من عدة أمور. لقد فرض الكونغرس وإدارة الرئيس بوش على الحكومة العراقية حزمة قرارات تشريعية. أو ما يسمى بالمقاييس (Benchmarks). وأصررنا على 18 نقطة يجب على العراقيين أن ينجزوها. ومرد ذلك إلى أن الإيجار على وضع تشريعات وطنية يؤدي إلى تحقيق مصالحة سياسية مع السنة. ولم يفكر أحد في أن ذلك قد يتحقق عبر سبيل آخر. لذا جاء الدفع الخارجي ليجعل الحكومة تقبل هذه المسؤولية. وأنجزت جميع النقاط ما عدا اثنتين منها.

سأناقش في ما يلي نقطتين حرجتين من تلك النقاط. الأولى هي تعديل قانون اجتثاث البعث، والذي أصبح الآن يسمح للسنة بالدخول في النسيج الاجتماعي للحياة في العراق. والانتساب إلى قوات الأمن. وتكوين جزء من الحكومة. والعمل كمهندسين أو أساتذة جامعات مرة أخرى. إن كل هذه الامتيازات كانت قد أخذت منهم لأنهم شكلوا شريحة شبيهة بأعضاء الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي السابق. فمن كان يحظى بالمناصب

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف

هم أعضاء حزب البعث من السنة والشيعة. وكنا نحن الذين انتزعناها منهم عندما أصدر بول بريمر. موجه عمليات إعادة بناء الدولة العراقية بعد الحرب. تلك السياسة. ولا زلنا نجهد للتعافي منها منذ لك الحين. وهنا يجب أن نأخذ في الحسبان المخاطرة السياسية التي غامر بها المالكي من خلال السماح للسنة بالعودة إلى المجتمع العراقي. وكان ذلك شبيها بتشريع الحقوق المدنية في أمريكا الذي استغرق مئة سنة بعد الحرب الأهلية لكي يتحقق. ومن هنا يتبين أن حقيقة الصراع السني تكمن في كونها حركة حقوق مدنية كي يشاركوا في الحياة السياسية.

أما التغيير الحرج الآخر فهو قانون العفو. إذ أن هنالك الآلاف من السجناء الذي سيطلق سراحهم وفق هذا القانون. والمالكي يعلم ذلك. وهو ماضٍ إلى إعادتهم للشوارع التزاما منه للسنة بأن هذه الحرب انتهت وأن ما مضى قد مضى. ومع أن المالكي لم يحصد تأييدا كاملا لهذا القانون ضمن حكومته. فإن مجلس النواب أجاز القانون. كما أن الجيش أظهر دعمه له. ولا بد من أن يمر من يشمله هذا القانون بعملية تفحص. ولكن هذا لا يمنع من أن يكون هذا القانون إنجازا شكل علامة فارقة في مهلة زمنية قصيرة.

إن انتخابات مجالس المحافظات مقبلة في ديسمبر القادم¹ وسيكون ذلك إنجازا هائلا لأنه سيغير الحكومة من نمطها السني المركزي في عهد صدام إلى نمط لامركزي. فكل الأمور الحكومية في المحافظات. بدءا من جمع القمامة إلى إدارة الجامعات وإنتاج النفط وتوزيعه. تدار من قبل مجلس وزراء يتكون من 21 عضوا. ويتجه العراقيون حاليا إلى تبني النمط الشيعي في اللامركزية. وبناء عليه سيكون للمحافظات ميزانياتها الخاصة بشكل يشبه ما يجري في باقي أنحاء العالم. مع تقاسم السلطة الكلية. إن هذا سيسجل إنجازا هائلا سيغير العراق بشكل كبير.

أما الحقيقة السياسية الأخرى فهي أن عملية المصالحة بدأت بمبادرة من السنة (1) في التاسع من نوفمبر 2008 حددت المفوضية العليا المستقلة للانتخابات يوم الحادي والثلاثين من يناير 2009 موعدا لإجراء انتخابات مجالس المحافظات.

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف

عبر الصحوة التي مدت يدها طلبا للمساعدة من القوات الأمريكية وحكومة المالكي التي يهيمن عليها الشيعة في بغداد. وهذه حقيقة مهمة: ففي البدء كانت الحكومة حذرة في تقبل ذلك. وهذا مفهوم في ضوء 35 عاما من الاضطهاد السني للشيعة. وكانت لديهم تحفظاتهم إزاء ذلك. ولكنهم تقبلوا الدخول في هذه المخاطرة ومضوا إلى الأمام. لقد مضت على عملية المصالحة عدة شهور منذ بدأت. ولن يكون هنالك حفل افتتاحي «للمصالحة». وإنما ستمر بعملية تطور تدريجية.

على الصعيد السياسي يمكن القول أن المالكي أكثر قوة من قبل. وهنا لا بد أن نذكر بأن المالكي لا يمتلك خبرة في الإدارة. بل إنه لا يعلم كيف ينظم أو يدير أي شيء. وكثير من العراقيين لا يفهمون فن التسوية. بل يفهمون فن الانتقام. ويستخدمون العنف لحل خلافاتهم. ولكن أن يقوموا بالعمل سوية ويشكلوا تحالفات أو لجنة تمثيلية لإنجاز الأهداف إنما هو صراع جديد وضخم يخوضونه. وبالرغم من ذلك. تبين لنا من خلال تعاملنا مع المالكي أنه قوي ويحظى بدعم لم ينله سابقا.



بول برينكلي

إن التقدم الاقتصادي في العراق ذو وتيرة بطيئة. ومع ذلك ترى مؤشرات إيجابية: فالعملة قوية نسبيا. والنمو الاقتصادي سيبليغ حوالي 7% في نهاية 2008. وعادت مناسيب إنتاج النفط إلى ما كانت عليه قبل الحرب. وهاهي الشركات النفطية الأجنبية تعود. والقروض الصغيرة تساعد على إنشاء مشاريع صغيرة.

والمستثمرون الأجانب يفتحون على العراق بدءا من الاستثمار في المشاريع المملوكة للدولة. إن الوضع العام يتحسن. ويقوم البنتاغون بإدارة برنامج عظيم في العراق يقوده بول برينكلي¹ من أجل إعانة المصانع على أن تقف على رجليها مما يدفعها لتوظيف المزيد من المنتسبين. لكن البطالة لا تزال عالية جدا وتراوح صعودا وهبوطا بمقدار قليل حول

(1) بول برينكلي (Paul Brinkley): نائب وكيل وزير الدفاع الأمريكي لشؤون عمليات التحول الاقتصادي.

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف

معدل 40%. إن أماننا الكثير من التحديات. والكثير من المعاناة التي تطبع الحياة اليومية العراقية بطابعها. وهذا ما تراه عندما تنتقل هناك. ولا يزال أمام العراقيين طريق طويل ليقطعوه. إن معظم الدول التي ساعدناها في القرنين العشرين والحادي والعشرين كانت لا تمتلك أموالاً. لكن العراق يملك الأموال. وسيقوم العراقيون بحل مشاكلهم الاقتصادية بعد وقت طويل من رحيلنا. وهم بحاجة إلى العون من العالم والمنطقة ومن الولايات المتحدة الأمريكية.

الخلاصة

كيف حدث ذلك كله؟ أولاً، تقبلت الإدارة الأمريكية حقيقة أن الاستراتيجية المتبعة في العراق عبر ثلاث سنوات قد منيت بالفشل. وتصرفت إزاء ذلك بالقيام بأمرين كبيرين: تغيير الاستراتيجية السابقة. واستبدال القادة المسؤولين عنها. وكلا القرارين كانا مصيريين بحيث أن آثارهما كانت دراماتيكية. وهكذا أعدت رزمة إسعافية تكونت من وزير جديد في البنتاغون. وقائد



الجنرال اوديرنو

جديد للقيادة الأمريكية الوسطى (سنتكوم). وقائد جديد لقوات التحالف في العراق. وسفير جديد في بغداد. وكان وجود الجنرال اوديرنو في العراق من الصدف العظيمة في الحياة فهو أحد أمهر الجنرالات الذين أنجبهم الجيش الأمريكي.

إن الاستراتيجية الجديدة حاسمة. وهي ليست مجرد زيادة في عدد القوات. لأننا إذا اكتفينا بهذه الزيادة وقمنا بتسليم القوات إلى الفريق السابق. فستبقى الأمور على حالها. لكن تغيير الاستراتيجية على الأرض كان هو الذي أدى إلى إحداث الفرق. وذلك من خلال استخدام تكتيكات لمكافحة التمرد سبق أن ثبتت نجاعتها ولكنها كانت تحتاج عدداً أكبر من القوات. إن القادة الجدد هم من أفضل ما يتوافر لدينا من كفاءات. ومنهم سفيرنا

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف



المذهل رايبان كروكر. والذي قام بعكس مجريات سنتين من الفشل في إدارة السفارة الأمريكية في بغداد. حيث اختار بنفسه نوابه في السفارة حتى أن إحصارهم إلى بغداد تطلب ستة أشهر من الزمن. والغريب أن وزارة الخارجية كانت لا ترغب في انتقالهم قبل حلول الصيف بسبب السنة الدراسية! وكأننا لا نخوض حربا!

أما العامل الأساسي الآخر الذي ساعد في عكس مجرى الأحداث فهو ما قام به الشعب العراقي بنفسه. لقد ضاقوا ذرعا بالعنف وأرادوا التغيير. وعندما تم توفير الأدوات اللازمة لذلك، مد العراقيون أيديهم للاستفادة منها والبدء في العمل. يجب علينا أن نعترف لقادة العراق بأنهم قبلوا المخاطرة التي جازفوا فيها. بالإضافة إلى التحسن في مستوى القوات العراقية.

أما العامل الأساسي الأخير فكان هو أداء قواتنا. ولطالما كان أدائها فوق العادة. وعندما امتدت لها يد منتصرة قدمت أفضل أداء شاهده في حياتي. إذ كان لي في فبراير 2007 رفقة مع الوحدات الرئيسية من القوات الأمريكية في بغداد. لقد كانت هنالك العديد من الأصوات في الولايات المتحدة التي تعبر عن قلقها على جنودنا الذين يتجولون في المناطق الساخنة وأنهم لقمة سائغة للهجوم هناك. ولكن رأينا كان أنهم أكثر أماناً في هذه المناطق. فالغطاء الأمني هو الناس أنفسهم: وعندما علم هؤلاء الناس أن قواتنا تضحى من أجلهم بدؤوا بالإخبار عن تحركات الإرهابيين وساعدوا قواتنا بعدة طرق. إن جنودنا علموا بأن يدا منتصرة امتدت لهم فقابلوها بتصميم كبير. إنهم يستحقون الإشادة بفضلهم الكبير.

أما بالنظر للمستقبل. فإن انتخابات مجالس المحافظات هي الشأن الأكثر أهمية

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف

على الصعيد السياسي، والعملية السياسية تتمتع بتأثير حاسم في مجرى الأحداث. وإذا وفرنا البيئة الآمنة لإجراء تلك الانتخابات، وقمنا بتمكين الناس من إسماع صوتهم، فإنها ستكون عملية انتخابية مختلفة. ومن ثم يتعين إجراء انتخابات البرلمان نهاية عام 2009، والتي ستفرز حكومة جديدة. ونظرا لما جاء في استطلاعين للرأي تبين أن 90% من السنّة سيشاركون في الانتخابات العامة، وهذا أمر مدهش جدا، فهم لم يشاركوا من قبل. وهذه المشاركة ستجعل من الانتخابات العامة في عام 2009 أقوى من سابقتها. وستكون العملية الانتخابية ممثلة للشعب بكامله، مما يجعل السياسة العامة وتنفيذها على قدر أكبر من الكفاءة.

يجب علينا أن لا نهدر المكاسب الأمنية التي حققناها، فالاستمرار بالعمل أمر جوهري، ولقد أصدرت الإدارة الأمريكية مؤخرا قرارا حاسما بالإبقاء على قيادة بيترايوس وتعيينه قائدا للقيادة الأمريكية الوسطى (سنتكوم)، ولكنه لن يتسلم المنصب قبل سبتمبر 2008 لحين إكمال بعض الجوانب الحساسة من المهمة. وعند ذلك سوف يستلم الجنرال اوديرنو المنصب السابق لبيترايوس قائدا لقوات التحالف في العراق. إن الجنرالين بيترايوس واوديرنو هما شخصان يتصفان بالتصميم والكفاءة والالتزام بتحقيق النجاح ومواصلة المهمة بغض النظر عن سيخلف بوش رئيسا للولايات المتحدة.

أما الجزء الآخر من القضية فهو عديد القوات الأمريكية المنتشرة في العراق، وهو أمر نال حظا كبيرا من التركيز. إن عديد القوات معادلة يدخل فيها متحولان هما إمكانيات كل من العدو والقوات العراقية. وبرأيي أن تخفيض عدد القوات لن يغير شيئا بشكل ملحوظ، وربما يندهش البعض من كلامي هذا، فرغم المنجزات العظيمة التي تحققت، يبقى هنالك حذر بشأن عديد القوات بسبب أمور حدثت في السابق، إذ لا يريد القادة العسكريون إهدار النجاح الحالي، ولكن هذا لا يمنع انخفاض عديد القوات الأمريكية بشكل كبير عام 2009، وربما نكون قادرين على نقل السلطات للعراقيين بشكل كامل عام 2010، وبهذا أعني أننا لن نكون حينها في موقع نقود فيه عمليات هجومية مهمة وإنما سنقتصر على دور داعم

الانتصار في العراق... الأسباب والظروف

للقوات العراقية. إنني غير متأكد من ذلك تماما. ولكنني لم أكن أعتقد ذلك قبل عام من الآن. أما الآن فالأرضية متاحة لقول ذلك. وإذا كنت محقا في ذلك، أضف إلى ذلك النجاح الذي تم تحقيقه. فلن يكون على إدارة الرئيس المقبل إلا أن تتناقش في تنظيم انتشار القطعات العسكرية الأمريكية في العراق ومدد بقائها.

أخيرا. يجب علينا أن نعمل على إيجاد شراكة في المنطقة. إذ يجب على الدول الأخرى في المنطقة أن يكون لها دور في استتباب الأمن في العراق. وإدارة بوش تعمل على ذلك. وعلينا أن نستمر في مراقبة النفوذ الإيراني في العراق. لأنهم لن يستسلموا. والمعلومات الحالية تشير إلى أن قائد فيلق القدس شخص كفوء وشديد التصميم. ومضى عليه في هذا المنصب اثنتا عشرة سنة. وهو يعمل وفق استراتيجية سياسية واقتصادية ودبلوماسية وعسكرية ليضمن موطن قدم له في جنوب العراق لإخراجنا من العراق والحيلولة دون تكوين تحالف عراقي-أمريكي. إن الإيرانيين سوف يحاولون بث البلبلة في الوضع الجديد. وهم لن يألوا جهدا في العمل من أجل تحقيق أهدافهم.